

الدرس 34) من شرح كتاب التوحيد بالمسجد الحرام

خالد المصلح

اما رابع الخصال التي ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم من امن الجاهلية النياحة. والنياحة هي رفع صوتي بالبكاء عند المصيبة بالموت وما اشبهه. من المصائب. فالنياحة رفع الصوت بالبكاء. جزعا - [00:00:00](#)

وضجرا وتسخطا. وقد يصاحبها ظرب للحدود وشق للجيوب وما اشبه ذلك من دعوى الجاهلية. وقد ورد في النياحة ما يبين انها من كبائر الذنوب حيث قال النبي صلى الله عليه وسلم النائحة وذكر ذلك في حق - [00:00:20](#)

حيث قال النائحة مع ان النياحة قد تكون من الرجال وتكون من النساء لكن لما كانت غالبية في النساء ذكر النبي صلى الله عليه وسلم حكم النائحة والا فالحكم واحد سواء النائحة النائحة - [00:00:50](#)

ها امرأة او النائح رجل. فالرجال شقائق النساء فما منع على الرجال يمنع على النساء الا بدليل يدل على اختصاص المنع بالرجال. كما ان ما منع في حق النساء هو ممنوع في حق الرجال حتى يقوم الدليل على التقصير - [00:01:10](#)

فما جاء من الذنوب ذكر فيه النبي صلى الله عليه وسلم العقوبة في حق المرأة هو للرجل الا ان يدل الدليل على عدم شمول الرجل في الحكم فمثلا لعن الله النامصة والمتنمصة. الرجل اذا نمص ملعون. لماذا ذكر النبي النامصة؟ لانه هو الغالب في - [00:01:30](#)

النساء النائحة اذا لم تتب تقام يوم القيامة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم عليها جبال من نحاس من قطرات ودرع من جرب. هذا ليس خاص باللائحة فقط بل - [00:02:00](#)

دول الناحية ايضا لكن انما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم هذه العقوبة في حق النائحة لان النياحة في النساء اكثر هو اغلب فاذا وقعت النياحة من الرجل او من الرجال كانت في الحكم سواء تحريما وعقوبة - [00:02:20](#)

كانت في الحكم سواء تحريما وعقوبة. وقوله صلى الله عليه وسلم الناحية اذا لم تتب يعني اذا اصرت على ذنبها بالتسخط لاقدار الله. والبكاء جزعا. ورفع الصوت عند المصيبة اقيمت يوم القيامة وعليها سربان من قطران اي قميص من نحاس فالقطران - [00:02:40](#)

هو النحاس يغطي جميع بدنهما. ويضاف الى ذلك ان الجرب قد عم جميع بدنهما. فاجتمع عليها المان. الم سربال النحاس القطران درع الجرب اي الم الجرب الذي غطى جميع جسدها. وقد جاء في الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم قال - [00:03:10](#)

اثنتان في الناس هما بهم كفر اي خصلتان وعملان في الناس اي في عموم الناس من اهل الاسلام وغيرهم هما بهم كفر اي من اسباب العصيان فالكفر هنا ليس المقصود به الخروج عن دين الاسلام - [00:03:40](#)

انما المقصود انه من المعاصي فهو كفر دون كفر. الطعن في النسب والنياحة على الميت. فهاتان الخصلتان ورد انهما من امر الجاهلية وورد انهما من الكفر في قول النبي صلى الله عليه وسلم اثنتان في الناس هما بهم - [00:04:00](#)

وبه تعلم انه ليس كل ما ذكر فيه النبي صلى الله عليه وسلم من الذنوب والمعاصي انه كفر يكفر به صاحبه عن دين الاسلام بل لابد من النظر في الادلة لمعرفة منزلة هذا العمل من حيث انتفاء وصف الاسلام عن صاحبه او لا - [00:04:20](#)

هذا يستفاد بالرجوع الى اهل العلم واهل فهم معاني ومقاصد كلام النبي صلى الله عليه وسلم الذين يجمعون الروايات ويعرفون منها الاحكام. الخلاصة ان هذه الخصال الاربعة من امر الجاهلية - [00:04:40](#)

الاول الفخر بالاحساء. الثاني الطعن في الانساب. الثالث الاستسقاء بالنجوم الرابع النياحة ولمزيد بيان لمعنى الاستسقاء بالنجوم ذكر المؤلف رحمه الله قصة جرت للنبي صلى الله عليه وسلم واصحابه. ففي الصحيحين من حديث زيد ابن خالد - [00:05:00](#)

الجهني رضي الله تعالى عنه قال صلى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية. صلى لنا اي صلى بنا صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح اي صلاة الفجر بالحديبية والحديبية - [00:05:30](#)

بعضها في الحرم اي داخل حدود الحرم وبعضها في الحرم. وهي التي نزل فيها النبي صلى الله عليه وسلم في السنة من الهجرة عندما صده المشركون عن الدخول الى البيت وقد جاء صلى الله عليه وسلم ومعه اصحابه جاؤوا مليون بالعمرة - [00:05:50](#)
فمنعهم كفار قريش من ان يدخلوا مكة. صدوهم عن الدخول الى مكة فنزل النبي صلى الله عليه وسلم بالحديبية يقول رضي الله تعالى عنه صلى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية على اثر سماء كانت من الليل - [00:06:10](#)
يعني على اثر مطر نزل في الليل فكانت صلاته فسق صباحا صلاة الفجر قد سبقها نزل ليلا باصحاب النبي صلى الله عليه وسلم. فلما انصرف صلى الله عليه وسلم من صلاته اقبل على الناس اي التفت اليهم فاقبل عليهم بوجهه واقبل عليهم ايضا محدثا فقال - [00:06:30](#)

صلى الله عليه وسلم هل تدرون ماذا قال ربكم؟ الخطاب لاصحابه رضي الله تعالى عنهم يسألهم فيقول هل تدرون ماذا قال ربكم؟ بالتأكيد انهم لا يدرون. وانما سأل النبي صلى الله عليه وسلم هذا - [00:07:00](#)
سؤال حفزا للنفوس. لسمع ما سيقول. ولفتا للانظار الى ما قاله الله جل وعلا وما تكلم به سبحانه وبحمده هل تدرون ماذا قال ربكم؟ قال الصحابة رضي الله تعالى عنهم - [00:07:20](#)

ورسوله اعلم. الله ورسوله اعلم. اما علم الله فقد احاط بكل شيء جل في علاه فهو بكل شيء عليم سبحانه وبحمده ومنه علمه جل وعلا بقوله سبحانه وبحمده. الثاني علم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك بالوحي فان النبي صلى الله عليه وسلم يخبره الله تعالى بما شاء من الخبر ولم - [00:07:40](#)

اسألهم الا لعلمه بما قال سبحانه وبحمده ولذلك قالوا الله ورسوله اعلم فعلم الله من اطلاع الله عز وجل لرسوله كما قال تعالى عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتقى من - [00:08:10](#)

فانه يسلكه من بين يديه ومن خلفه رصد ليعلم ان قد ابلغوا رسالات ربهم واحاط بما لديهم واحصى كل شيء عددا. فقال النبي صلى الله عليه وسلم بعد ان اجابوا بهذا الجواب قال يقول الله عز - [00:08:30](#)

اصبح من عبادي مؤمن بي وكافر. انتبه! خبر نبوي بعد الصلاة مباشرة يقول لاصحابه هل تدرون ماذا قال ربكم؟ قالوا الله ورسوله اعلم. قال يقول اصبح من عبادي يعني هذا - [00:08:50](#)

اليوم من عبادي مؤمن بي وكافر. فقال صلى الله عليه وسلم في بيان هذه القسمة التي قسم الله تعالى العباد. اليها. فاما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب. انتبه اذا قوله - [00:09:10](#)

من عبادي مؤمن بي وكافر اي فيما يتعلق بما انزل من المطر الذي سقي به اصحابه او سقي به الناس في ذلك الزمان او في ذلك الوقت وهو المطر الذي كان على اثر الذي كان ليلة ذلك الصباح - [00:09:40](#)

اما المؤمن فهو الذي اضاف النعمة الى المنعم بها المتفضل. وهو الله جل وعلا اصبح من عباده يكافئ اما من قال مطرنا بفضل الله اي باحسانه وكرمه ورحمته اي ما تفضل - [00:10:00](#)

من الرحمة فالمطر رحمة الله. كما قال تعالى فانظر الى اثار رحمة الله كيف يحيي الارض بعد موتها فالمطر رحمة من الله عز وجل لعباده. فاضافها اليه. مطرنا بفضل الله اي باحسان - [00:10:20](#)

وكرمه وعطائه وجزيل منه لعباده ورحمته اي وبما تفضل عليهم من الرحمة التي اوصلت اليهم هذا الخير. فذاك فذلك مؤمن بي اي مؤمن بالله عز وجل وكافر بالكوكب مؤمن بي كافر في الكوكب. والكوكب هو ما كان يعتقد الجاهليون من ان المطر يأتي اما من - [00:10:40](#)

النجوم ايجادا وخلقاً وتكويناً واما تسببا وازافة وكافر بالكوكب اي قد رد النعمة الى المتفضل بها هذا هذا المؤمن واما الكافر قال واما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا اي بسبب النجم الفلاني او الموسم الفلاني او البرج الفلاني - [00:11:10](#)

او الكوكب الفلاني. فذلك كافر بي. كافر بالله عز وجل. وهو نوعان اما كفر مخرج عن الملة بان يعتقد ان ان النجوم هي التي اوجدت المطر استقلال دون ارادة الله ومشينته هذا كافر بربوبية الله لانه اعتقد ان من الخلق من - [00:11:40](#)

له القدرة على الخلق دون الله والله خالق كل شيء سبحانه وبحمده. فمن اعتقد معه خالفا فقد كفر بالله عز وجل وهذا كفر في الربوبية. حيث جعل مع الله ربا يخلق ويرزق ويملك ويتصرف - [00:12:10](#)

دون مشينته سبحانه وبحمده. ولذلك قال فذلك كافر بهذه الصورة الاولى. الصورة الثانية هي دون الصورة الاولى هي كفر دون كفر اي كفر اصغر. وهو ان يعتقد ان هذه النجوم سبب - [00:12:30](#)

لحصول المطلوب يعتقد ان النجم سبب لحصول ما يؤمل من الارزاق والعطايا في الامطار ولذلك قال كافر بي مؤمن بالكوكب اي معتقد بالكوكب وكل من اعتقد لغير الله فقد كفر به لانه لا يتم ايمان احد حتى يتم يقينه بالله عز وجل وتوحيده - [00:12:50](#)

قال الله تعالى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى. اذا قوله صلى الله عليه وسلم فيما اخبر به عن الله اصبح من عباد مؤمن به وكافر فاما من قال مطلنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بك وكافر بالكوكب واما - [00:13:20](#)

قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب. وليعلم ايها الاخوة ان اضافة النعم الى غير الله عز وجل. لها احوال. وهذا نموذج من نماذجها. يعني ذكر ليس حصرا له النعم التي تساق الى الخلق كثيرة. اذا ساق الله اليك نعمة فاما ان تضيفها الى الله فتقول هذه النعمة - [00:13:40](#)

هذا الولد بفضل الله ورحمته. هذا المال بفضل الله ورحمته. هذه الوظيفة بفضل الله ورحمته. هذا الشفاء بفضل الله ورحمته هذا العطاء بفضل الله ورحمته. فانت مؤمن بالله كافر بما سواه. وهنا - [00:14:10](#)

لا يكمل ايمانك ولا يعني هذا ان تعطل الاسباب بل هذا معناه ان لا تنسب الى الله الى غير الله شيئا لم يجبه استقلالا او ان تنسب الى الله الى غير الله شيئا فتغفل عن الله عز وجل. فالاسباب - [00:14:30](#)

تضاف اليها الاشياء لكن دون غفلة عن مسببها الذي بيده الملك جل في علاه. واما من اضاف النعمة الى الخلق ايجادا فذلك كافر بالله عز وجل ومثله ايضا في الكفر في المعنى - [00:14:50](#)

العام لكنه دونه فهو كفر دون كفر. من تعلق بالاسباب فاضاف اليها الحوادث والوقائع مع الغفلة عن المسبب سبحانه وبحمده. ولذلك قال صلى الله عليه وعلى اله وسلم اصبح من فيما يخبر به عن الله اصبح من عباد - [00:15:10](#)

مؤمن بي وكافر وهذا في كل النعم. فاحرصوا عباد الله ايها الاخوة على تعليق قلوبكم بالله فما بكم من نعمة فممن؟ من الله. قد تجري هذه النعم باسباب. لكن لا تغفل تشتغل بالسبب - [00:15:30](#)

عن المسبب هذا. ارايت لو ان شخصا غنيا ارسل اليك مئة الف ريال على سبيل المثال مع رسول فجاء الرسول واعطاك المئة الف وقال هذه من فلان الشكر سيتوجه لمن؟ للرسول ام للمرسل؟ من الذي من الذي ستشعر بمنتهى وفضله عليك - [00:15:50](#)

الواسطة الذي اوصل لك المال؟ ام الذي تسبب ابتداء بعطائك؟ ايها فضل في قلبك اعظم. الوسيلة السبب الرسول ام المرسل؟ اجيبوني يا اخوان. بالتأكيد المرسل كل نعمة بك وتصل اليك في سر او علن في دين او دنيا هي من الله. والله عز وجل قد - [00:16:20](#)

هذه النعم باسباب من الخلق. فعندما ينقطع نظرك عن الخالق المنعم وينحصر بصرك في المتفضل السبب الذي جاء جاءت النعمة من طريقه تكون قد قصرت في حق المنعم اولى بلى قصرت وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم فيما يخبر به عن الله اصبح من عبادي مؤمن - [00:16:50](#)

هو كافر فيا اخي كل نعمة تصل اليك فقل الحمد لله. ولا يعني هذا الا تشكر السبب الذي وصلت كالنعمة من طريقه. فمن لا يشكر الناس لا يشكر الله. كما جاء في الصحيح - [00:17:20](#)

من حديث ابي هريرة رضي الله تعالى عنه عند الامام احمد باسناد جيد من لا يشكر الناس لا يشكر الله لكن شتان بين من يشكر الناس ويتعلق قلبه بهم وبين من يشكرهم لان الله اجرى عليه - [00:17:40](#)

عليه الخير من قبلهم لكن قلبه معلق بالله تمجيذا وثناء وعلماً بأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن. هذا معنى قول قوله صلى الله عليه وعلى اله وسلم أصبح من فيما يخبر به عن الله عز وجل - [00:18:00](#)

أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر. فاما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته. فذاك مؤمن بي كافر بالكوكب. واما من قال مطرنا بنوء كذا كذا فذلك كافر بمؤمن بالكوكب. فكل نعمة تساق اليك فاضفها الى الله جل وعلا. احياناً بعض الناس - [00:18:20](#)

يقول مطرنا بالوسم الوسم زمن لنزول المطر فيقول مطرنا بالوسم وليس غرضه وقصده انه سبب ولانه موجد انما لغته لهجته تستبدل بالظرفية بالباء. فيقول مطرنا بالوسم اي في الوسم. فهل هذا مما - [00:18:40](#)

ينهى عنه الاولى ترك هذا لكن من حيث صحة اللفظ الباء تأتي بمعنى فيه في كلام العرب فلا بأس بذلك لكن الاولى والاكمل ان يترك الانسان الكلام بهذه الصيغة لانها عين ما نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم في قول - [00:19:10](#)

بنوء كذا. فذلك كافر به مؤمن بالكوكب. لكن الباء تأتي بمعنى في في قول الله كما في قوله تعالى وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل. وبالليل يعني وفي الليل. فلبه تأتي - [00:19:30](#)

بمعنى في في كلام العرب وهذا شاهدها. اما اخر ما ذكره المؤلف رحمه الله فهو حديث ابن عباس في بيان سبب نزول قوله تعالى وتجعلون رزقكم انكم تكذبون. فقال ولهما اي البخاري ومسلم من حديث ابن عباس معناه اي معنى الحديث المتقدم - [00:19:50](#)

وفيه قال بعضهم اي بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وبعض من كان معه صدق نوء كذا هذا سبب المقالة هذا سبب قول النبي صلى الله عليه وسلم لما فرغ من صلاته واقبل على الناس قال اتدرون ماذا قال ربكم - [00:20:10](#)

قالوا الله ورسوله اعلم قال أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر سبب ذلك ان ممن كان مع النبي صلى الله عليه وسلم من قال صدق نوء كذا وكذا اي صدق النجم الفلاني في نزول المطر فيه هذا معنى صدق لو - [00:20:30](#)

كذا وكذا اي انه صدق في كونه محلاً لنزول المطر. وهذا اما ان يكون اعتقاداً ان النوم هو الذي جاء بالمطار النجم هو الذي جاء بالمطر ايجاداً وتكويناً وهذا كفر بالله اكبر واما ان يكون تسبياً وهذا - [00:20:52](#)

كفر بالله حيث اضاف النعمة الى غير المتفضل بها مع نسيانه والغفلة عنه. اما من اضاف النعمة الى واسطة مع عظيم تعلقه بالمنعم المتفضل الله جل في علاه ان ذلك ليس من الكفر بالله عز وجل فلا يدخل فيما نهى عنه في قول النبي صلى الله عليه وسلم واما من قال - [00:21:12](#)

بنوء كذا وكذا فذلك كافر بمؤمن بالكوكب. قال رحمه الله قال ابن عباس قال لقد قال قال بعضهم لقد صدق كذا وكذا فانزل الله تعالى فلا اقسم بمواقع النجوم فلا اقسم معناها اقسم الا - [00:21:42](#)

هنا زائدة للتأكيد وهذا من اساليب العرب كقوله تعالى فلا اقسم بيوم القيامة وكقوله تعالى فلا اقسم بالشفق وآ كقوله تعالى لا لا اقسم بهذا البلد مع انه قال والبلد الامين اقسم به لكن لا في كلام العرب - [00:22:02](#)

في بعض السياقات زائدة لتأكيد المعنى ولفت النظر اليه فقوله فلا اقسم بمواقع النجوم معناها اقسم بمواقع النجوم والمقسم بها من؟ الله جل في علاه لفتاً للأنظار الى ما فيها من عظيم خلق الله تعالى وبديع صنعه و - [00:22:32](#)

جليل قدرته سبحانه وبحمده فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم اي هذا القسم الذي اقسم الله تعالى به قسم عظيم انه هذا المقسم عليه اي اقسم الله تعالى بمواقع النجوم - [00:22:52](#)

ان القرآن الكريم انه انه لقرآن كريم. ايش معنى قرآن كريم؟ ما معنى كون القرآن كريماً اي كثير الاحسان كثير الفضل كثير الخير جزيل البر ولا شك ان القرآن كريم - [00:23:12](#)

فهو مبارك كثير الخير. كثير الفضائل على من تلاه على من امن به على من عمل به على من دعا اليه. فهو خير على العبد في دنياه وفي اخراه. في دنياه في الهدايات وشرح الصدر - [00:23:32](#)

وفي الآخرة يأتي القرآن شافعياً لاصحابه يوم القيامة. ودرجات الناس يوم القيامة على وفق ما كانوا يقرأون في كتاب الله عز وجل اقرأ ورتل وارتي فان منزلتك عند اخر اية كنت تقرأها - [00:23:52](#)

انه لقرآن كريم في كتاب مكنون. ما هو الكتاب المكنون؟ اللوح المحفوظ. في كتاب مكنون اي محفوظ من كان الشيء اذا حفظه واعتنى به رعاية وصيانة. في كتاب مكنون لا يمس - [00:24:12](#)

الا المطهرون الضمير يعود الى ايش؟ الى الملائكة. لا يمسون الكتاب المكنون. لا يمس الكتاب المكنون الا المطهرون الملائكة وهذا استدلال به بعض اهل العلم على ان القرآن لا يمس الا طاهر. ليس ان الآية - [00:24:32](#)

يقصد بها القرآن فالضمير في قوله لا يمسه يعود الى الكتاب المكنون وليس الى القرآن الكريم. انما الى الكتاب المكنون وهو اللوح والمطهرون هنا الملائكة فقالوا اذا كانت اذا كان الكتاب المكنون الذي فيه القرآن لا يمس الا المطهرون - [00:24:52](#)
فكذلك القرآن لا يمس الا طاهر. كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يمس القرآن الا طاهر. تنزيل من رب العالمين. هذا القرآن تنزيل من الله جل وعلا نزل به الروح الامين على قلب سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه. افبهذا الحديث اي ما جاء به من القرآن والهدى - [00:25:12](#)

الحق انتم مدهنون وتجعلون رزقكم انكم تكذبون اي تصيرون شكر نعم الله عليكم ومنه نعمة الهداية ونعمة انزال القرآن انكم تكذبون اي تكذبون بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم من الهدى - [00:25:35](#)

ودين الحق خلاصة هذا الباب الذي يهمننا ان نخرج به من هذا المجلس يا اخوان ان كل نعمة تصل اليك فالمنعم بها من؟ الله جل في علاه فلا تضيفها الى سواه - [00:25:55](#)

ولا تتعلق بغيره طيب نلغي الاسباب؟ يعني ما نشكر الناس على احسانهم؟ الجواب لا. نشكرهم ونذكرهم. لكن على سبيل دون الغفلة عن المنعم المتفضل الله جل في علاه تعلق قلبك بالله واعلم انه لا يأتي بالحسنات الا الله ولا يدفع السيئات الا الله جل في علاه سبحانه وبحمده. اسأل الله العظيم - [00:26:12](#)

رب العرش الكريم ان يرزقني واياكم العلم النافع والعمل الصالح. ان يرزقنا تمام التوحيد له وكمال الاخلاص له والاقبال عليه وان ارزقنا قبول نعمه وشكره عليها وان نقوم بها على الوجه الذي يرضى به عنا وان يفتح لنا ابواب العطاء - [00:26:42](#)
ان يزيدها من فضله في ديننا ودنيانا وان يثبت اقدامنا على الحق والهدى وان يحفظ ديننا ويحسن منقلبنا ومآلنا وان يغفر لنا قطع الزلل في السر والعلن وان يوفقنا الى ما يحب ويرضى وان يرينا في انفسنا واهلينا واولادنا وبلادنا وولاتنا والمسلمين ما - [00:27:02](#)
ونسأله جل وعلا ان يحفظ هذه البلاد من كل سوء وشر. وسائر بلاد المسلمين وان يوفق ولاية امرنا الى ما يحب ويرضى. وصلى الله وسلم على نبينا محمد - [00:27:22](#)